هنـد أبـــو الشعـــر موثِّقـة

د . حسين محمد القهواتي *

أولًا: ما التوثيق

التوثيق اسم مشتق من وثّقَ؛ أي ضبط وأحكم وثبّت وربط الشيء كي لا ينفلت ويذهب، وقيل إن التوثيق من الوثاق وهو ما يُشد به من حبل أو قيد[1]، قال تعالى: ﴿... **فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ...﴾[2] والوثيق: المُحكم. ووثقت الشيء توثيقًا فهو مُوّثق، والموثوق هو الشخص الثقة في ما يروي أو يحدث، والمُوِّثق هو محرر العقود والمواثيق والمصادر والمراجع بالطريقة العلمية والشرعية والقانونية، مثل المؤرخ أو غيره من الباحثين في ميدان العلم والمعرفة، أو كاتب الضبط أو كاتب العدل. يستقي هؤلاء، كل حسب اختصاصه، معلوماتهم من الوثائق والمخطوطـــات، والمنحوتات،

* باحث في مكتب الوثائق الهاشمية ـ الجامعة الأردنيـة.

والنقوش، والسجلات الشرعية، والقوانين والأنظمة، ودفاتر الطابو، والنقوش، وعقود الزواج، والشهود، وملفات البلديات، ومحاضر جلسات اللجان، والمسكوكات، وشواهد القبور، وأوراق البردي، وما كُتب على الجلود والعظام، وما ورد في الكتب والصور والتسجيلات الصوتية، وبحوث المجلات العلمية، وفي الصحف والنصوص الإلكترونية وغيرها، بهدف حفظها وإثبات مصادرها، وإرجاعها إلى مظانها الأصلية عند استخدامها في مراجع أخرى، توخيًا للأمانة العلمية، واعترافًا بجهود الآخرين وحقوقهم، وذلك لتجنب السرقات الأدبية والعلمية، ولمعرفة أصالة وقِدم وحداثة المصدر والمراجع.

ويسهم التوثيق العلمي المتقن في زيادة الثقة بنتائج أي دراسة أو مشروع، فضلًا عن تنمية المعرفة، من خلال اختيار المعلومات من الأصوال وتبويبها وعرضها في مراجع أخرى، مع الإشارة الواضحة إلى المؤلفين وعناوين كتبهم، وإلى أجزائها ومكان نشرها وناشريها، وسنوات النشر، والجزء والصفحة المقتبس منهما، وقد تجتهد المؤسسات العلمية والجامعات في ترتيب هذه الإشارة لكنها لا تختلف في ضرروة الإتيان الكامل بها.

وأخيرًا، ماذا أفادت الموثقة الدكتور هند أبو الشعر من هذا العلم ومن شروطه، وكيف تعاملت معه في نتاجها التاريخي الثر؟ الجواب: لقد أجادت في البحث وأتقنت في التوثيق، هذا ما سنوضحه في محاور هذه الورقة الآتية.

ثانيًا: تجربة الباحثة الأولى في التوثيق

لقد بدأ المشوار لهند أبو الشعر في التوثيق في رسالتها للماجستير: «حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي»، ومع مشرف قدير وعالم جليل ومؤرخ كبير هو الدكتور عبد العزيز الدوري، رحمه الله، اللذين اتفقا على تقسيم الرسالة إلى خمسة فصول، تناول الفصل الأول مصادر البحث وشمل: الرواة، المصادر، المراجع.

ناقشت الباحثة فيه مصادر الدراسة ذات الأهواء المتعددة، بموضوعية وصبر ودراية، مع مشرف متخصص وصعب، وكانت حكمًا عادلًا أخرجت من بين ثمينها وغثها مادة علمية دقيقة وموضوعية يقبلها العقل والمنطق. وخصصت الفصل الثاني لخطط الكوفة وتركيبها السكاني، والثالث للتشيع في الكوفة حتى حركة المختار، والرابع حركة المختار في الكوفة، والخامس آثار حركة المختار الفكرية، ووُثقت هذه الفصول الخمسة بـ ٢٢١٧ هامشًا، وأخرجت معلوماتها من مصادر أولية أصيلة ومراجع معتمدة عرضت نصوصها بأمانة علمية فائقة، وبعبارات قصيرة وواضحة، وأسلوب شيق ولغة سليمة. وقد كتب مشرفها الدوري في مقدمة كتابها عند طبعه العام ١٩٨٣م: «إن دراسة حركة ثورية كحركة المختار تصطرع في أخبارها الأهواء، تتطلب إحاطة بالروايات، وتدقيقًا لمصادرها، ولميول أصحابها، وتقييمًا ونقدًا لها ليمكن الكتابة عنها بروح علمية وبدقة، وقد بذلت الباحثة جهدًا واضحًا في هذا الاتجاه، في سبيل دراسة جادة وموضوعية».

وتقول هند: «**ولا أنسى أبدًا فضل أستاذي الدكتور عبد العزيز الدوري، فقد علمني المنهج ودربني عليه**».

ثالثًا: صقل تجربتها الأولى وتنويع مصادرها

أما مشوارها الثاني في التوثيق فرافق دراستها للدكتوراه عن «إربد وجوارها»، ناحية بني عبيد ١٨٥٠ – ١٩٢٨م، مع مشرف قدير وعالم جليل آخر له باع طويل في الدراسات التاريخية الحديثة وبخاصة المحلية، ودراية فائقة في التوثيق، هو الأستاذ الدكتور «محمد عدنان» البخيت، مؤسس مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، ورئيس هيئة تحرير المجلة الأردنية للتاريخ والآثار سنوات طوالًا، التي حصلت في عهد رئاسته ورئاسة

الأستاذة الدكتورة ميسون النهار على تصنيف عالمي متقدم في ميدان البحث والتوثيق العام ٢٠٢٠م، وكانت تجربة الباحثة الموثقة مع هذا المؤرخ المختص الفذ، غنية ومتنوعة ومستمرة، أفادت من توجيهاته السديدة في البحث عن مصادر محلية جديدة، فأفلحت بجهدها وجدها وصبرها وتمرسها في البحث، من الوصول إلى الأصول، فاطلعت على ستة دفاتر طابو، وعلى ثمانية وثلاثين دفترًا من سجلات دائرة الأراضي والتسوية، وعلى ستة عشر سجلًا من سجلات المحاكم الشرعية، وعقود الزواج، وعلى ستة عشر عددًا من السالنامات العثمانية، وعلى مجموعة من الوثائق العثمانية. فضلاً عن المذكرات الشخصية والمقابلات الميدانية، ووثائق وكتب مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، وعلى اثنين وعشرين من كتب الرحلات، وعلى بحوث الدوريات الحديثة، وعلى مواد سبع صحف معاصرة لحقبة دراستها هي البشير، والجنان، وسوريا الشام، وفلسطين، والعاصمة، والكرمل، والشرق العربي، فاطلعت وأفادت من مواد مائتين وتسعين عددًا منها.

وقد أجادت الموثقة هند أبو الشعر في مشوارها الثاني هذا، في قراءة هذا العدد الضخم المتنوع الجديد من الوثائق والسجلات والمصادر الأولية، وبحوث المجلات الحديثة، ومقالات الصحف وأخبارها، فأبدعت في غربلة معلوماتها، بدراية وجد وصبر ومنهج قويم، واختارت منها أحسنها وأصلحها، ونسبتها إلى مظانها وأصحابها بدقة وأمانة، وفق قواعد البحث العلمي ومنهج التوثيق، وبذلك استحقت بجدارة لقب المؤرخة الثبت، والموثقة المعتمدة.

رابعًا: استمرار التجربة وتطويرها مع الوثائق الهاشمية

بدأت محاولة نشر الوثائق الهاشمية، أوراق الملك عبد الله بن الحسين «الملك المؤسس» العام ١٩٩٣م، عندما بادر الدكتور «محمد عدنان» البخيت، رئيس جامعة آل البيت يومذاك،

إلى أخذ الإذن من الديوان الملكي العامر للاطلاع عليها وتصنيفها، فحظيت مبادرته بموافقة مشفوعةٍ بالدعم والتشجيع من لدن المغفور له بإذن الله، صاحب الجلالة الهاشمية، الملك الحسين بن طلال المعظم، الذي تكرم فأذن بإخراج النصوص إلى النور، وأصدر أمره الشريف بتقديم التسهيلات اللازمة لإنجاح مهمة الدكتور «محمد عدنان» البخيت، في الإشراف العام على مشروع نشر النصوص.

ومن الجدير ذكره، أن المشرف على مشروع جمع وتبويب ونشر الوثائق الهاشمية، شرع فور تسلمه الموافقة على العمل، وساعدته في مهمة توفير الأوراق، ندى نصري مقحار، فجمع وصنّف وأصدر المجلد الأول من الوثائق بعنوان «الاستقلال» العام ١٩٩٣م، وأردفه بالمجلد الثاني بعنوان «صندوق الأمة» مطلع العام ١٩٩٤م، وبالمجلد الثالث بعنوان «سوريا الكبرى» و«الاتحاد العربي» في العام نفسه (١٩٩٤م)، وأشرك في هذا المجلد المهم محمد يونس مرزوق مع ندى نصري، في تهيئة الوثائق وفرزها، وكتب في مقدمته: «إن المعلومات الوثائقية الواردة في هذا المجلد لها دلالات ومؤشرات على فكر الملك المؤسس عبد الله الأول، وعلى أسلوبه ومنهجه السياسي كرجل دولة، وصاحب مشروع يمثل الطموح بقيام سوريا الكبرى موحدة، على أن يكون هذا المشروع مقدمة لمشروع الأمة العربية الواحدة، كما طرحه الهاشميون عندما قادوا الثورة العربية».

واستمر العمل في مشروع نشر الوثائق الهاشمية على قدم وساق، فصدر المجلد الرابع بعنوان الجامعة العربية العام ١٩٩٤م، وقد شاركت الدكتورة هند أبو الشعر لأول مرة في مهمة الإعداد والنشر لهذا المجلد، إلى جانب رندة نصري مقحار، ومحمد يونس، وكتبت هيئة الإشراف والإعداد في صدر الصفحة الرابعة الشكر والتقدير للفريق الذي ساعد في قراءة هذا الجزء وتصحيحه، الدكتور نوفان رجا الحمود، والسيدة رغدة أبو نوار، لطباعتها المادة.

وكتب المشرف على العمل في مقدمة المجلد: «وقد قسمنا المادة فيه إلى ثلاثة فصول، تناول الأول منها الاجتماعات والقرارات والمراسلات الخاصة بمشروع الجامعة العربية، ودور الأردن الفعّال في هذه المرحلة، أما الفصل الثاني فركز على موضوع موقف الجامعة العربية من وحدة الضفتين، في حين اهتم الفصل الثالث برصد موضوع التمثيل الأردني في جامعة الدول العربية وهو جانب إداري بحت» .

كما وردت ملاحظة مهمة في صدر الصفحة الثامنة لأول مرة، تُـرصد لصالح دقة هند وموضوعيتها وأمانتها هي: «نرجو أن نبين إلى القارئ الكريم، أن وثائق جلالة الملك عبد الله بن الحسين رحمه الله، مجمّعة في عدد كبير من الملفات مع فهرسة أولية لها، لذا يجد القارئ الإشارة إلى رقم الوثيقة ورقم الملف والتاريخ، أما الوثائق التي لا تحمل تاريخًا فقد أشرنا إليها (د. ت) أي دون تاريخ».

واستمر العمل الدؤوب في نشر الوثائق الهاشمية، فصدر المجلد الخامس بعنوان: «فلسطين»، العام ١٩٩٥م، بإعداد من الدكتورة هند أبو الشعر، والدكتور نوفان رجا السوارية، والمجلد السادس بعنوان: «الإدارة الأردنية في فلسطين»، في العام نفسه، ولجنة الإعداد نفسها، والمجلد السابع بعنوان: «الحسين بن علي والبيعة بالخلافة» العام ١٩٩٦م، وبإعداد اللجنة نفسها.

وفي القسم الأول من المجلد الثامن الصادر العام ١٩٩٦م، بعنوان: «الخط الحديدي الحجازي»، أضيف إلى لجنة الإعداد والنشر بكر خازر المجالي، واستمرت لجنة الإعداد هذه المكونة من هند أبو الشعر، ونوفان رجا السوارية، وبكر خازر المجالي، في إعداد وإصدار المجلد التاسع بعنوان: «العلاقات الأردنية العراقية» العام ١٩٩٧م، والعاشر بقسميه الأول والثاني بعنوان: «العلاقات الأردنية السعودية» العام ١٩٩٧م، والحادي عشر بعنوان:

«وحدة الضفتين»، العام ١٩٩٨م، والثاني عشر بقسميه الأول والثاني بعنوان: «العلاقات الأردنية المصرية»، العام ١٩٩٨م، والثالث عشر بقسميه الأول والثاني بعنوان: «خط حيفا ـ بغداد»، العام ١٩٩٩م، والرابع عشر بقسميه: «خط التابلاين» العام ٢٠٠٠م، والخامس عشر بعنوان: «العلاقات الأردنية السورية» العام ٢٠٠١م، والسادس عشر ـ القسم الأول، بعنوان: العشائر الأردنية، العام ٢٠٠١م، والقسم الثاني بعنوان: محاضر وجلسات لجنة الإشراف على البدو، العام ٢٠٠٢م، والقسم الثالث: محاضر وجلسات لجنة الإشراف على البدو، العام ٢٠٠٣م، وصدر المجلد السابع عشر «قضاة العشائر في الأردن»، العام ٢٠١٤م.

وبدءًا من المجلد الثامن عشر المعنون: «القناصل في إمارة شرقي الأردن»، الصادر العام ٢٠١٤م، تولت الدكتورة هند أبو الشعر وحدها مسؤولية الإعداد والتبويب والفهرسة، وبمتابعة وتنسيق من باسل غازي الجغامين، بإشراف الدكتور «محمد عدنان» البخيت، وبمقدمة تعريفية مهمة من فريق العمل، واستمر إسهام الدكتورة هند المميز في إعداد وفهرسة ونشر مجلدات الوثائق الهاشمية اللاحقة.

المجلد التاسع عشر بعنوان: العلاقات الأردنية ـ العربية والإسلامية، العام ٢٠١٦م[٣]، والمجلد العشرون بعنوان: دليل المعاهدات والاتفاقات الدولية التي صادقت عليها إمارة شرقي الأردن، العام ٢٠١٥م.

والمجلد الحادي والعشرون بعنوان: العلاقات الأردنية ـ اللبنانية، العام ٢٠١٧م.

والمجلد الثاني والعشرون بعنوان: العلاقات الأردنية ـ الإيرانية، العام ٢٠١٧م.

والمجلد الثالث والعشرون بعنوان: الطب والأطباء في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٨م.

والمجلد الرابع والعشرون، العلاقات الأردنية ـ اليمنية، ٢٠١٨م.

والمجلد الخامس والعشرون ـ القسم الأول: الموازنات العمومية في عهد إمارة شرقي الأردن ٢٠١٨م، والقسم الثاني ـ الموازنات العمومية في عهدي إمارة شرقي الأردن والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٩م.

والمجلد السادس والعشرون، الأمطار والآبار الارتوازية في إمارة شرق الأردن، ٢٠١٩م.

المجلد السابع والعشرون، موظفو دائرة النافعة، ١٤٤٠-١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

والمجلد الثامن والعشرون، الحكام الإداريون في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠١٩م.

والمجلد التاسع والعشرون، الأوقاف الإسلامية في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٢٠م.

والمجلد الثلاثون، المصرف الزراعي في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٢٠م.

والمجلد الحادي والثلاثون، الملف الزراعي في عهدي الإمارة والمملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٢١م.

والمجلد الثاني والثلاثون ـ القسم الأول، بعنوان: دائرة الأراضي والمساحة، العام ٢٠٢١م.

والجهد مستمر في إصدار مجلدات أخرى وبعناوين جديدة.

وأخيرًا، إن جهد الدكتورة هند في جمع وتصنيف وإعداد الأوراق الهاشمية للنشر متميز ودقيق وأمين وكبير ومستمر، يوفر للباحثين في تاريخ الأردن مصادر وثائقية جديدة ومهمة.

خامسًا: اهتمامها بالصحافة ودعوتها للإفادة من معلوماتها في إعادة كتابة تاريخ الأردن وبلاد الشام، وإسهامها في طبع ونشر أعداد جريدتي العاصمة والقبلة المهمتين.

١. جريدة العاصمة:

أ. **الوثائق الهاشمية:** «العاصمة، جريدة الحكومة الرسمية»، المجلد الأول ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، طبع في جامعة آل البيت، ١٩٩٨م.

ب. **الوثائق الهاشمية** «العاصمة، جريدة الحكومة الرسمية»، المجلد الثاني ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م. جمع وإعداد هند أبو الشعر، محمد الأرناؤوط، سلطي شخاترة، إشراف عام من الأستاذ الدكتور «محمد عدنان» البخيت.

جاء في مقدمة هذا المجلد الأول الذي احتوى على الأعداد من ١-٨٨، من جريدة العاصمة الناطقة باسم الحكومة الفيصلية في دمشق، والتي كانت تصدر في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع: «... إن الصحافة ناطق أمين يقدم الصورة الواقعية بكامل تفاصيلها عن نشاط وعمل الحكومة ... وإن هذه الأعداد من صحيفة العاصمة تمثل تجربة الأمة في المشرق العربي في مرحلة انتقالية مليئة بالفكر والحماس والرغبة في إثبات الذات». ويمكن من دراسة خطب الأمير فيصل (المنشورة في أعداد متفرقة من الجريدة) التعرف على فكره الإصلاحي، وعلى فهمه للإدارة.

ونُشر في صدر العدد الأول من الجريدة الصادر يوم الاثنين ١٧ جمادى الأولى ١٣٣٧هـ/ ١٧ شباط ١٩١٩م، خطة الجريدة الهادفة إلى نشر قوانين الحكومة وبلاغاتها ومقرراتها، وأنظمتها، فضلًا عن أخبارها المحلية والعربية والدولية، ونذرت الجريدة نفسها أن تكون صوتًا صادقًا للأمة العربية لنيل استقلالها، وتحقيق آمالها، وقد التزمت في مقالاتها التعبوية

القومية بوعدها إلى آخر عدد صدر لها يوم الاثنين ٦ جمادى الثانية ١٣٣٩هـ/ ١٤ شباط ١٩٢١م.

وهكذا نرى أن الموثقة هند قد وضعت بين أيدي الباحثين مصدرًا مهمًّا لدراسة تاريخ الحقبة الفيصلية في سورية.

٢. جريدة القبلة:

جريدة القبلة الناطقة بلسان الثورة العربية الكبرى في الحجاز، الصادرة في مكة المكرمة يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، خلال السنوات ١٩١٦- ١٩٢٤م.

جمعت الدكتورة هند المادة من ٨٣٣ عددًا من جريدة القبلة، وقرأت محتوياتها بعناية ومنهجية علمية وخبرة صحفية، وتدريب في التوثيق، وأفلحت في التمييز بين أخبارها ومقالاتها، ونشرتها في حلقات أسبوعية في جريدة الرأي الأردنية على مدى عام، ومن ثم طبعتها في كتاب بعنوان: «ذاكرة الثورة العربية الكبرى ونهضة العرب» بإشراف منها ومن الدكتور «محمد عدنان» البخيت، عمان، ٢٠١٨م.

وكتبت لجنة الإشراف في مقدمة الكتاب: «تحتفظ دور المحفوظات العربية والغربية بمادة صحفية غنية ومثيرة .. لم يتم استخدامها مصدرًا لدراسة تاريخ بلدان المشرق العربي كما يجب .. لذا وجدنا أن الحاجة لتوفيرها منشورة ومدروسة من ضرورات استكمال عملنا في تصنيف ونشر سلسلة الوثائق الهاشمية». وذكرت اللجنة أن استخدام الصحافة مصدرًا لدراسة التاريخ يحتاج إلى منهجية عالية ومدربة، وإلى مقدرة فائقة في تتبع الخبر والتمييز بينه وبين المقالة، بخاصة أن جريدة القبلة كانت تضم توثيقًا وافيًا للأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، ومنها توثيق مباشر للأحداث الميدانية الدائرة في الحرب العالمية

الأولى، عن طريق وكالة رويتر، ويمكن من خلالها متابعة الأحداث العسكرية لجيوش الثورة العربية الكبرى، والأحداث على أراضي بلاد الشام والعراق.

وكتبت الدكتورة هند في بيان أهمية الصحافة في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين: «إنها كنز حقيقي لمن يطلع عليها، وهي تمثل خلاصة حية لفكر النهضة والتنوير»، وقالت: «لم يسبق دراسة جريدة القبلة كمصدر تاريخي من قبل، على الرغم من أن العديد من الباحثين الأكاديميين اعتمدوا عليها في دراساتهم، لكن لم نجد دراسة وافية ومتسلسلة لأعدادها كمصدر تاريخي متكامل».

هذا ما فعلته الدكتورة هند في دراستها لجريدة القبلة، بطريقة منهجية وبأسلوب شيق وتوثيق دقيق.

الهوامش

(١) أبو الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، ١٥ج، دار صادر، بيروت، باب الواو/ بتصرف.

(٢) القرآن الكريم، سورة محمد، الآية (٤).

(٣) يجدر بنا الذكر أن الدكتورة هند اطلعت في هذا العام على أوراق وملفات لها علاقة بمشروع سوريا الكبرى الذي نشر عام ١٩٩٤م، في المجلد الثالث، فجمعتها ونسقتها وصدر القسم الثاني، عام ٢٠١٦م بعنوان: سوريا الكبرى، وألحق بالمجلد الثالث الصادر عام ١٩٩٤م.